

في الاسماء المؤنثة لابن الحاجب

إحسان جعفر

(سورية)

الاسماء ، فإن كان الاسم لمن تعقل كان التأنيث حقيقياً كدعد وزينب ، وإن لم يكن كذلك كان مجازياً كشمس وأذن ، قال ابن مالك :

• وفي أسام قدروا التا كالكتف •

ويستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث ، أو إشارته ، أو لحق التاء بفعله مثل هذه الشمس رأيتها طلعت ، أو ظهور التاء في تصغيره كأذينة ، أو حذفها من اسم عدده كأربع آذان ، والمؤنثات المجازية ألقاظ محصورة سُمعت عن العرب ، فيقتصر عليها ، ويمكن الرجوع بشأنها إلى كتب المذكر والمؤنث مثل :

(1) كتاب المذكر والمؤنث للفراء (المطبعة العلمية بحلب سنة 1345هـ)

(2) كتاب المذكر والمؤنث للمبرد (تحقيق د. رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب بمصر 1970م) .

(3) البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر لأبي البركات ابن الأنباري ، (تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب بمصر 1970) .

الاسماء المعربة والصفات (المشتقة) المؤنثة في اللغة العربية تُعرف من حملها لإحدى علامات التأنيث ، وهي التاء كشجرة ، والألف المقصورة كالشعري ، والألف الممدودة كصحراء ، ومن السهل تمييزها كشمس ، ونار ، ورأس ، وبطن ، وطريق . بعضها يعد مذكراً ، وبعضها مؤنثاً ، وبعضها يجوز فيه الوجهان : التذكير والتأنيث ؛ فكل من البطن والرأس والقم والباب — مثلاً — مذكر . وكل من العين والأذن والدار والشمس — مثلاً — مؤنث . وكل من السيل والطريق والصراف والمِسْك يجوز تذكيره وتأنيثه . والواقع أن تذكير هذه الألقاظ وتأنيثها لا يمت إلى المنطق بصلة ، وإن الخيال وحده قد خلج على بعض الأشياء الجامدة سمات الأشخاص ، فأتت بعضها ، وذكر بعضها الآخر تبعاً لتصوره كلا منها ، ومن هنا كان اختلاف لغة الحجاز ، ولغة تميم في تذكير بعض الأسماء وتأنيثها ، فعلى حين يقول أهل الحجاز : هي النمر ، وهي البر ، وهي الشعير ، وهي الذهب ، وهي البسر ، تذكر تميم هذه الألقاظ ...

ونحن نستطيع بمثل هذا التعليل أن نفهم تقسيم المؤنث إلى حقيقي ومجازي ، وعليه فتقدر تاء التأنيث في بعض

(4) رسالة في المؤنثات السماعية لنور الدين بن نعمة الله الحسيني (ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة ، نشر هغز وشيخو ، بيروت 1914)

وقد نظم ابن الحاجب⁽¹⁾ المؤنثات السماعية المشهورة في قصيدة أثبت فيها يلي نقلاً عن مجموع خطي وجدها فيه ، وإنما أوردتها دحضاً لمن زعم⁽²⁾ أن في لغتنا مئآت ومئآت من أسماء الجملادات لا تعرف أمذكر هي أم مؤنث؟؟ ومن ثم دعا إلى أن نعني الناس من تخطت بهم عندما يخالفون اعتبارات التذكير والتأنيث على النحو الذي تسير عليه اللغة العربية .

قال ابن الحاجب (من البحر الكامل) :

نَفْسِي الفداء لِسَائِلِ وافاني
بِمَسَائِلِ فاحت كروض جنان
أَسْمَاءُ تَأْنِيثٍ بِغَيْرِ علامة
هي يا فتى في عُرفهم ضَرَبَانِ

قد كان منها ما يُؤنثُ ثم ما
خُبِرَتْ فيه لاختلاف معانٍ
أَمَّا الذي لأبَدٍ من تأنيثه
سُئِلَ شَبه العَيْنِ⁽³⁾ والأُذُنَانِ
والنَفْسُ ثم الدَّارُ ثم الدَّلْوُ من
أَعْدَادِهَا والسَّنِ⁽⁴⁾ والكَتِفَانِ
وَجَهَنَّمُ ثم السَّعِيرُ⁽⁵⁾ وعَقْرُبُ
والأَرْضُ ثم الآسُ⁽⁶⁾ والعُضْدَانِ
ثم الجَحِيمُ⁽⁷⁾ ونَارُهَا ثم العصا
والرَّيْحُ⁽⁸⁾ منها واللِّطْيُ وَيَدَانِ
والقَوْلُ والفِرْدَوْسُ والفُلْكَ التي

في البحر ، وهي في القرآن
وعَرُوضُ⁽⁹⁾ شَعْرِ الذَّرَاعِ وتَلْبُ
والسِّلْحُ ثم الفَأْسُ والوَرِكَانِ
والقَوْسُ ثم المُنْجَنِيْقُ وأَرْبُ
والخَمْرُ ثم البِثْرُ والفَخْدَانِ
وكذلك في ذَهَبٍ وفَهْرٍ⁽¹⁰⁾ حَكْمُهُم
أَبْدًا ، وفي ضَرْبٍ⁽¹¹⁾ بكلِّ مكانٍ

(1) ابن الحاجب : هو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المتوفي سنة 646هـ ، ولد بصعيد مصر سنة 570هـ ، ونشأ بالقاهرة ، له مصنفات كثيرة وجاءت شهرته بما صنفه في النحو ، وأهم مصنفاته فيه الكافية ، والشافية ، وهما مطبوعتان بشرح الرضي ، وفي دار الكتب المصرية مخطوطة من أماليه النحوية في أكثر من ستمائة وخمسين صفحة . ولابن الحاجب آراء كثيرة اتفق فيها مع بعض النحاة ، وأخرى خالف فيها جمهورهم .

(2) انظر : المذكر والمؤنث مجازياً «اقتراح» بقلم محمد خليفة التونسي ، مجلة العربي ، العدد 268 ، الصفحة 134 .

(3) العين : مؤنث ، سواء أكانت بمعنى الباصرة أم كانت لعين الماء ، وللعين في اللغة العربية (48) معنى .

(4) من القم ، وكذا السن بمعنى العمر ، لأنها بمعنى المدة ، يقال : كبرت سني ، والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب فإنها ذكرا .

(5) السعير : النار ، قال تعالى : «وسيعصرون سعيراً» .

(6) النحل : أنتى ، قال عز وجل : «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» .

(7) الجحيم : النار الشديدة التاجع قال جل ثناؤه : «فإن الجحيم هي المأوى» وقال : «وإذا الجحيم سقرت» ، والكتاب اليوم يذكرون الجحيم ، وهو خطأ .

(8) جميع أسماء الرياح مؤنثات مجازية ماعدا الاعصار فذكر .

(9) عروض الشعر وغيره أنتى كما قال الشاعر :

ومازال سوطي في قرابي ومحجني ومازلت منهم في عروض أذودها

والعروض هنا الناقة ، وللعروض معان كثيرة منها : الطريق ، وميزان الشعر ، والجدي ، والتيس ، والسحاب ، والطعام ...

(10) الفهر : الحجر .

(11) الضرب : العسل الأبيض يقال : الضرب البيضاء .

والعين للينبوع والدُّرْع التي
هي من حديد قط والقدمان
وكذاك في كَيْدٍ، وفي كَرْشٍ، وفي
سَقَرٍ⁽¹³⁾، ومنها الحربُ والتعلان
وكذاك في فرسٍ، وفي كَأْسٍ وفي
أَفْعَى، ومنها الشَّمْسُ والعِقبانِ
والعنكبوت⁽¹⁴⁾ تحوُّكُ والموسى معاً
ثم اليمينُ، وإضْبَعُ⁽¹⁵⁾ الإنسانِ
والرجل منها والسراويل التي
في الرجل كانت زينة العريان
وكذا الشَّال من الإنسانِ، ومثلها
ضَبْعٌ، ومنها الكفَّ والسَّاقانِ
أَمَّا الذي قد كُنْتُ فيه مُخْبِراً
هُوَ كَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ في التبيان
السُّلْمُ⁽¹⁶⁾ ثم المِسْكُ ثم القِدْرُ⁽¹⁷⁾ في
لَعْنَةٍ، ومثل الحال⁽¹⁸⁾ كلَّ أوان

والليثُ منها والطريق وكالسرى
ويُقَالُ في عُتْقٍ كذا ولسان⁽¹⁹⁾
وكذاك أَسْمَاءُ اللَّيَالِي وَالضُّحَى⁽²⁰⁾
وكذا السَّلاح لِفَنَاتِكِ طعانِ
والحِكْمُ هذا في القَفَا أَبَداً وفي
رَجِمٍ وفي السَّكِينِ والسُّلْطَانِ
وَقَصِيدَتِي تَبَقَى، وإِنِّي اكْتَسِي
ثوبَ الفناء، وكلُّ شيءٍ فاني

وبهذا نكون قد انفردنا لأول مرة بشعر الرواية
الصحيحة، الموثقة، لقصيدة ابن الحاجب الموشحة
بالمؤنثات السَّماعية، وكان لويس شيخو مدير مجلة المشرق
قد نشرها بدون اعتناء سنة 1908 في بيروت، وأعاد
طبعاها في كتاب «البلغة في شذور اللغة» سنة 1914، بيد
أنَّ طبعة السَّقيمة جاءت مشحونة بالتحريفات، ومليئة
بالأخطاء الشنيعة، فضلاً عن تصحيف معظم ألفاظها،

(12) هي جهنم، معرفة ممنوعة من الصرف قال تعالى: «وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر».

(13) العنكبوت: مؤنثة واحدة كقول الله عز وجل: «كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً».

(14) الأصابع: إناث كلهن إلا الإبهام فإن العرب على تأنيبها إلا بني أسد أو بعضهم فإنهم يقولون: هذا إبهام، والتأنيث أجود.

(15) بمعنى الصلح.

(16) القِدْر: أنثى، ويذكرها بعض قيس.

(17) الحال: أنثى، وأهل الحجاز يذكرونها، وربما أدخلوا فيها الهاء قال الشاعر:

على حالةٍ لو أن في القوم حاتمًا على جودِهِ لَضُنَّ بالماءِ حاتم

(18) اللسان يذكر، وربما أنث وإذا قصدوا باللسان قصد الرسالة أو القصيدة. (أو اللغة) قال الشاعر:

لسان المرء تهديها إلينا وجئت وما حسبك أن تحينا

ويروى لسان السوء، وقال الآخر:

أتني لسان بني عامر أحاديثها بعد قول نُكْر

وذكرها الخطيئة فقال:

نلتُ على لسان كان مني فليت بأنه في جوف عِكم

وأما اللسان بعينه فلم يسمع من العرب إلا مذكراً، ومنَّ جَمَعَ اللسان المذكر قال في جمعه «السنة» وجمعه الكثير «لُسُن»، ومن
أنث فيجمع على «لُسُن».

(19) الضحى: أنثى يقال ارتفعت الضحى، وتصغيرها ضُحياً بغير الهاء كأنهم كرهوا أن يشبه تصغيرها تصغير ضُحوة، قال الشاعر:

يفعتُ خُلَيْقاً بعدما اشتدت الضحى بمرتقبٍ عالي الشَّاز رفيع

ومعنى يفعت ارتفعت و(خليقا) اسم جبل.

ضعيفة لا يُعتدّ بها ، أو كان من متروك الكلام
ومهجوره .

المراجع

- (1) المذكر والمؤنث للفراء (حلب 1345هـ).
- (2) المذكر والمؤنث للمبرد (مصر 1970).
- (3) مختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي المطبعة العلمية
بجلب سنة 1345هـ.
- (4) أزهار الفصحى في دقائق اللغة لعباس أبو السعود ،
دار المعارف بمصر 1970 .
- (5) مجلة العربي ، العدد 268 .
- (6) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح .
- (7) المدارس النحوية لشوقي ضيف .
- (8) كتاب خط قديم .

ولا أدري كيف أجاز لنفسه أن ينشرها بتلك التشوهات
فغدت عنده أسماء عديدة مذكرة لا يجوز تأنيثها مؤنثة ،
والعكس أيضاً ، ومما يؤسف أن أحد الدارسين ، فهو
عصام نور الدين نقل قصيدة ابن الحاجب المذكورة من
كتاب شيخو ، وضمنها كتابه «أبنية الفعل في شافية ابن
الحاجب» الصادر حديثاً في بيروت ، وهو عبارة عن
رسالة دكتوراه ، ويلوح أنه لم ينتبه إلى الأخطاء الواقعة
فيها ، ونأمل منه تصحيحها في طبعة الكتاب القادمة .

وكما رأيت فإنّ الأسماء المؤنثة مجازياً المتداولة في عريتنا
اليوم التي وشح ابن الحاجب بها قصيدته لا تعدّ أكثر من
ستين اسماً يزداد عليها أسماء البلدان ، وحروف الهجاء ،
والحروف نحو: في وعلى ... وتسوين إجازة تذكيرها
وتأنيثها مردود ، وإنّ الاقتراح الذي طالعه مؤخراً بهذا
الشأن ، يسقط فيما إذا حُصرت هذه الأسماء ، وتمت
معرفتها وضرب صفحاً عما اختلف فيه ، وجاء بلهجات